# الإسكندرية ومنارتها بين الادريسي (ت٥٦٠هـ/١١٦٤م) وابن جبير(ت٦١٤هـ/١٢١٧م)

## "دراسة مقارنة"

أ.د. نهلة شهاب احمد  أ.م.د. صفوان طه حسن الناصر

*جامعة الموصل / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ*

(قدم للنشر في ٢٠١٩/٥/٢٦ ، قبل للنشر في ٢٠١٩/٧/١٧)

**ملخص البحث:**

لم يكن ابن جبير بأوفر حظا من الادريسي في السرد التفصيلي لوصف مدينة الإسكندرية الا انه عاين وشاهد حالها مما زاد في موثوقيته ، كما لا ينفى عن الادريسي أنه كان محددا بظرف اقامته في بلاط الملك النورماني روجر الثاني في صقلية ، مما جعل ذلك عامل ضغط لم يتعرض له ابن جبير ، الا ان حالة عدم الانسجام بين الواقع السياسي والصراع على زعامة العالم الإسلامي كانت هي الأخرى حاضرة كعامل ضغط في رحلة ابن جبير .

امتاز البحث بتنوع المعلومات وان كانت حول مفردة واحدة وهذا الهدف الأساس من اختياره كما بَيّن بما لا يقبل الجدل الفرق بين جنسي الكتابين ، فضلا عن ثقافة واندفاع كلا المؤلفين كما ظهر لكل منهما توجهاته وولاؤه السياسي ، فكان وصف الادريسي وهو مقيم في صقلية أكثر دقة لمنار الإسكندرية من ابن جبير الذي دخلها وصعد فيها الى اعلاها حيث المسجد الذي تبرك في الصلاة به ، ومن هنا لا بد من الانتباه في عدم التسليم لرواية واحدة دون القياس والمقارنة بما سبق أو لحق ذلك القول لدى الرحالة والبلدانيين.

# Alexandria and its lighthouse between Al-Idrisi (560AH \1164AD) and Ibn Jubayr (614 AH\1217AD)
# "comparative study"

**Abstract:**

The son of Jubayr was not the best of Adrissi in the detailed narrative to describe the city of Alexandria, but he saw and saw the situation, which increased his credibility, and does not deny that Adrissi was specified in the circumstances of his residence in the court of the Norman King Roger II in Sicily, But the state of incompatibility between political reality and the struggle for the leadership of the Muslim world was also present as a pressure factor in the journey of Ibn Jubayr.

The research was characterized by the diversity of information, although it was about one word and this is the basic objective of his choice. He also indisputably distinguished the difference between the two books, as well as the culture and the impulse of both authors. From the son of Jubayr, who entered it and ascended to the top where the mosque is worshiped by the prayer. It is therefore necessary to pay attention to the non-delivery of one novel without analogy and comparison with the above or the right to say that the travelers and the Baldans.

## المقدمة

تنافس العديد من الباحثين ابراز مؤهلات البلدانيين وكيف اختلف احدهم عن الاخر مع تبيان ذلك الاختلاف وصولا الى مراجع او مصادر معلوماتهم ، وكذا الحال مع الرحلات العلمية ورحلات الحج التي دونت من قبل أصحابها او نقلت عنهم ودونت من قبل اشخاص لاحقين ، وعدت تلك الدراسات من الاعمال البديعة التي انارت للباحثين فيما بعد حيثيات النقل والتدوين للمواقع الجغرافية مع سرد بعض الحوادث الخاصة بها .

لكن قلما نجد هناك دراسة مقارنة بين كتاب بلداني وكتاب وصف للرحلة ، وقد كان اهتمام الباحثين منصب في الفرق بينهما ، واي الكتابين اكثر حظا في التصويب من الاخر ، وقد اخترنا كتابين الفا في النصف الثاني من القرن السادس الهجري الثاني عشر للميلاد ، وهي تجربة فيها من المجازفة ما يدعوا للحذر والتفكير ، كما ان الباحثين عمدا في ان يكون أصول المؤلفين مشرقية ، وولدا في بلاد المغرب والاندلس ونشأ فيها .

كان الهدف في البداية دراسة كل ما هو مشترك في الوصف الا ان الوقت وحال البحث لم يسمح لنا الا بالاقتصار على مدينة الإسكندرية علها تكون بادرة لدراسات لاحقة تتناول مثل هذه الفكرة والتجربة ، وكما هو بديهي لابد من تعريف موجز عن مؤلفي الكتابين ، والكتابين ، ومن ثم التطرق الى المحاور الأخرى في البحث فكان وصفها بشكل عام ثم بناؤها ، وبعد ذلك التركيز على وصف منارتها والتي نالت الحظ الاوفر في تفاصيل المقارنة وما قيل عنها ، وانتهاءً بما يعرف بعمود او أعمدة السواري .

لم يعمد الباحثين الى السرد المفروغ منه في كتب ودراسات تناولت ذلك الا انهما ارادا من هذه المقارنة تأكيد مفهوم يتجنبه العديد من الباحثين حول النقل والمعاينة وانتقال الكاتب من المعاينة الى الترجيح والاستعانة بما قيل ان لم يستطع فهم الأثر الموجود واسبابه وجوده ، كما حصل مع ابن جبير مثلا ، ومن الله التوفيق والسداد . . . . . الباحثان .

## أولا / نبذة عن البلدانيين الادريسي وابن جبير :

### - الادريسي :

هو محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس بن يحيى بن علي بن حمود بن ميمون . . .بن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) [1]، كُنِيَّ بأبي عبد الله وينتهي نسبه الاعلى الى ادريس بن عبد الله مؤسس دولة

الادارسة في المغرب الاقصى ، وفي النسب الاقرب الى علي بن حمود منشئ دولة الحموديين في جنوب الاندلس وثغري سبتة وطنجة ، وتمكن علي بن حمود من السيطرة على قرطبة في محرم سنة ٤٠٧هـ/١٠١٦م[٢] ، لذا لُقِبَ بالشريف الادريسي ، واضيف اليه لقب الصقلي نسبة الى مكان استقراره ووفاته ، ولنبوغه العلمي في صقلية لقب بسترابون العرب نسبة الى الاغريقي سترابون [٣]، وزيد في القابه بالقرطبي والثيري أو الثري[٤] .

يعد الادريسي احد كبار الجغرافيين العرب ومن مؤسسي علم الجغرافيا في اروبا القرون الوسطى ، ولد في مدينة سبته سنة ٤٩٣هـ/١١٠١م، من بيت عريق يجمع بين النسب والمكانة السياسية ، وكان لذلك انعكاس على تربيته ونشأته ، تلقى علومه الاولى في مدينة سبته ، وكانت من اهم الحواضر المغربية تعج بالعلماء في شتى صنوف المعرفة منها العلوم العقلية والنقلية ، ثم انتقل الى الاندلس واقام في قرطبة ودرس على علمائها ، وبرع في علم الرياضيات ، كما اهلته مواهبه في امتلاك ثقافة رياضية كاملة في حساب وهندسة وجغرافيا فلكية وطبيعية وسياسية ، فضلا عن دراية في التأليف بمجالات التاريخ والشعر والادب والنبات [٥] .

كرس شبابه في البحث والتجوال ، فرحل في سن السابعة عشر متجولا في المغرب من ادناه الى اقصاه ومن ثم الاندلس ، حتى وصل سواحل فرنسا واتجه الى انكلترا ، وعاد الى المشرق فزار مصر وبلاد الشام واسيا الصغرى وكان ذلك حتى سنة ٥١٠هـ/١١١٦م [٦]، وكانت محطته الاخيرة جزيرة صقلية ، حيث استقر بها لأكثر من عقدين من الزمن ، واشار الصفدي في ترجمته للملك روجر : " وهو الذي استقدم الشريف الادريسي . . . من العدوة اليه . . . وسأله المقام عنده وقال له انت من بيت الخلافة ومتى كنت بين المسلمين عمل ملوكهم على قتلك ، ومتى كنت عندي امنت على نفسك"[٧]، ان ذلك الحوار لقى اذنا صاغية من قبل الادريسي فنزل عند رغبة الملك ، وذكر الصفدي مدى الحفاوة التي تلقاها الادريسي في بلاط الملك روجر الثاني .

وما شجع الادريسي على المكوث في صقلية هو أن صقلية كانت تحوي جالية اسلامية كبيرة ، واثار الحقبة الاسلامية لحكمها حاضرة فضلا عن التسامح الديني لدى ملوكها من النورمان ، فقد اشار الى ذلك اكثر من وافد لها ومنهم المؤرخ الكبير ابن واصل فقال عن ملكها :" وقد رأيت تلك الممالك وتوجهت إليها لما توجهت رسولا من جهة السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس – رحمه الله – إلى ولد الانبراطور فردريك هذا المسمى منفريدا . وكان الانبرطور – من بين ملوك الفرنج – فاضلا، محبا للحكمة والمنطق والطب، مائلا إلى المسلمين لأن مقامه في الأصل ومرباه بلاد

صقلية، وهو وأبوه وجده كانوا ملوكها، وأهل تلك الجزيرة غالبهم المسلمون ."[٨]

لم تقدم كتب التراجم المغربية ترجمة وافية عن الشريف الادريسي ، وكادت كتب التراجم المشرقية تخلو من ترجمة له سوى ترجمة متواضعة لدى الصفدي في كتابه الوافي ، ولم يشر الى تاريخ ولادته ولا وفاته ، الا اننا نجد اقتباسات واضحة من كتابه نزهة المشتاق في متون كتب الجغرافية والتاريخ العام ، ولسد النقص في المعلومات عن الادريسي مال اغلب من تحدث عنه الى دراسات المستشرقين عنه وعن اثاره العلمية[٩] .

ويرجح سبب ذلك لامتعاض الكتاب المسلمين من عمله في كنف الملك روجر الثاني ملك صقلية، وما عاناه المسلمين في المشرق والمغرب من ضغط صليبي اسهمت به صقلية بشكل مباشر وغير مباشر[١٠] ، وقد اشار الى ذلك احد الباحثين نقلا عن عبد الله كنون بقوله :" ومما يؤسف له أننا لا نعرف شيئا كثيرا عن سيرة الادريسي الى ان مرجع هذا أن المؤلفين العرب كانوا يتجاهلون وجوده لاسرافه في مدح روجار ولانصافه المسيحيين في صقلية الى ابعد حد . . . " [١١] .

ويستدرك كنون ان الشكوى من ضياع سيرة الادريسي يشابهها ضياع للعديد من الجغرافيين[١٢]، وهنا نقر بان ضعف الاتصال بالادريسي والمعرفة به يعود لاسباب : منها سياسي فكان لتقربه من ملك صقلية الذي احتل مدينة طرابلس الغرب واصفا ذلك في كتابه :" واستفتحها الملك راجار في سنة ٥٤٠ه ، فسبى حريمها وافنى رجالها "[١٣] وفي موضع اخر عند حديثه عن مدينة المهدية يقول : " وفتحها الملك رجار المعظم في سنة ٥٢٣هـ"[١٤]، وكان لهذه العبارات وقعها المؤلم في نفوس المسلمين ومنهم كتاب التراجم ، ومنها ما يتعلق بالتواصل العلمي ، او ما وصل اليه حال الادريسي من الانقطاع فشحت اخباره ، وقد يكون للباحثين في قابل الايام رأي آخر عن عزوف المسلمين لترجمة الادريسي .

اما عن عرض الكتاب فقد يخرج بنا عن طور البحث لكننا نستدرك بالسبب والدافع في تاليفه فقد اشار الادريسي في مقدمته أنه الفه امتثالا ورغبة من قبل الملك روجر ، وانه استوعب ما لديه من معلومات وما وصل اليه من ثقات الملك واصحاب الخبر عن صفة الاقاليم في المعمورة ، ويبدوا أن للادريسي تنقيح على بعض ما وصله من تلك المعلومات الجغرافية ، فضلا عن انه رسم صورة للارض على لوح مستدير من الرصاص والفضة ، وكذلك رسمها على خارطة كبيرة .

إذن فكل ما وصل الينا من فكر ونتاج الادريسي قائم على الجانب الجغرافي البلداني ، لذا انصب اهتمامنا في البحث والتقصي

عن دقة معلومات الادريسي مع مقارنتها بنظرائه من المسلمين للوصول الى مدى التغير الحاصل في فترات متعاقبة شملها وصف الادريسي[١٥] .

**-ابن جبير :**

هو محمد بن احمد بن جبير يمتد نسبه الى بني ضمرة من قبيلة كنانة[١٦] ، يكنى بأبي الحسين وابي الحسن[١٧] ، دخل جده الاعلى جبير الاندلس سنة ١٢٣ه/٧٤٠م مع الطالعة الشامية بقيادة بلج بن بشير القشيري ونزل بكورة شذونة [١٨]، ولد في بلنسية سنة ٥٤٠ه/ ١١٤٥م ، وتوفي في الاسكندرية سنة ٦١٤هـ/ ١٢١٧م عن عمر ناهز اربع وسبعين سنة [١٩] .

نشأ ابن جبير في اسرة عريقة لها مكانتها السياسية والعلمية في المجتمع الاندلسي ، فكان ابوه وزيرا لامير بلنسية ، فحرص والده على نشاته نشأة علمية وادبية ، فشب على حب العلم والمعرفة وتلقى علومه على خيرة العلماء في بلاد الاندلس [٢٠] .

ومن الناحية السياسية عاصر ابن جبير دولة الموحدين (٥٤١-٦٦٨هـ/١١٤٦-١٢٧٠م) التي تسمى حكامها بالخلفاء وامراء المؤمنين ، وتمكنوا من توحيد بلاد المغرب ومن ثم ضم الاندلس ، وكانت لدولتهم مهابة سياسية وعسكرية ، فضلا عن اهتمام خلفائها بالعلم والثقافة ، وحرصوا منذ عهد الخليفة الاول عبد المؤمن (٥٢٤-٥٥٨هـ/١١٢٩-١١٦٢م) ومن جاء بعده من الحكام الموحدين على جمع العديد من العلماء في بلاطه ، واغداق العطايا والهبات لهم [٢١] ، وسار ابنه ابو يعقوب يوسف الموحدي (٥٥٨-٥٨٠هـ/١١٦٢-١١٨٤م)، على خطاه في الاهتمام بالعلم والعلماء وخير من وصفه عبد الواحد المراكشي بقوله :" كان ذا ايثار للعلم شديد وتعطش اليه مفرط . . .وكان له مشاركة في علم الادب ، واتساع في حفظ اللغة ، وتجريد في علم النحو . . .ثم طمع به شرف نفسه وعلو همته الى تعلم الفلسفة . . .وبدأ من ذلك بعلم الطب . . ." [٢٢] .

لذا نشأ ابن جبير في كنف دولة ترعى العلم والعلماء ، فدرس علوم الدين من قراءات وفقه وحديث وشغف بها ، وبرزت ميوله في علم الحساب والعلوم اللغوية والادبية ، واظهرت مواهبه كفاءة في تقربه من امير سبتة وغرناطة ابو سعيد عثمان بن علي [٢٣] .

اشتهر ابن جبير كرحالة ، فكان له ثلاث رحلات الى المشرق الرحلة الاولى للحج ابتدأها من مدينة غرناطة سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م، استغرقت سنتين وثلاثة اشهر سجل فيها مشاهداته وملاحظاته[٢٤] ، والرحلة الثانية كانت للحج وزيارة القدس والمسجد الاقصى بعد استعادته على يد صلاح الدين الايوبي ابتدأها في اوائل ربيع الاول سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م،وانتهى

منها في سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م، اما رحلته الثالثة وكانت للحج ايضا عقب وفاة زوجته أم المجد والتي كان يحبها كثيرا فترك المكان الذي يذكره بها واستقر به الحال في الاسكندرية والتي توفي فيها سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م[٢٥].

وبعد هذا الاستهلال عن طبيعة المؤلفين والكتابين سنسوق المقارنة بينهما على اساس الدقة والتفصيل ، متعرضين بعد ذلك الى ما ورد عند غيرهم من الجغرافيين والبلدانيين لغرض التصويب والتوضيح . . .

**ثانيا : وصف بناء الاسكندرية :**

لا بد في البداية أن نشير الى الفارق الزمني البسيط بين كلا المؤلفين قد تصل الى (٢٣) سنة وكما هو معلوم أن الكتاب الاول " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق " ، قد الف وأهدي لملك صقلية روجر الثاني (٥٢٥-٥٤٩هـ/١١٣٠-١١٥٤م) لا بل كان للإدريسي ما يعرف بخارطة أو صورة للأرض ويقال أنها ذات شكل كروي ، ولا اريد التطرق الى مدى الحرية العلمية و التسامح الديني في الحرية الفكرية التي كانت تتمتع بها صقلية آنذاك وخير دليل على الحريات التي اباحها حكام صقلية للطوائف خاصة منها الاسلامية ذات الجالية الكبيرة ، وهنا ألجأ ابن جبير نفسه في وصف الحالة بقوله : " وشان ملكهم هذا عجيب في حسن السيرة واستعمال المسلمين . . . "[٢٦] .

أما الرحلة لابن جبير فمعروف ان مصادر معلوماتها تختلف عن جنس الكتاب الاول من حيث أن مصادر معلوماتها جاءت بالأساس من المشاهدة ، ومن ثم السماع للمعلومات من أناس عاينوا الحدث ، وقلّما استعان في الوصف الى كتب ومؤلفات سابقة [٢٧]، وهنا لابد من التماس العذر للأول وتوكيد ما رآه الثاني عند المقارنة.

إن وصف كلا المؤلفين لمدينة الاسكندرية جاء لتراكم معلوماتهم عنها قراءة وسماعا ، سوى أن ابن جبير اضاف مشاهداته على ما سبق ، والهدف من هذه المقارنة هو استقصاء ما ذكره كلا المؤلفين من تفاصل ذكرها الاول واحجم عنها الثاني والعكس كذلك ، ومن ثم اسباب ذلك إن أمكن ذلك فضلا عن الاستدلال بصحة أو نفي أو إغفال تلك المعلومات في الاستعانة بالمصادر التي افردت معلومات تؤكد أو تنفي أو توضح تلك المعلومات الواردة .

**- وصف المدينة :**

أورد الادريسي في ذكره للمدينة في القسم الرابع في الكتاب [٢٨] بحسب تقسيم الكتاب :" أما الاسكندرية فهي مدينة بناها

الاسكندر وبه سميت [٢٩]وهي مدينة على نحر البحر الملح " [٣٠] ويبدو أن الادريسي اقتبس العبارة الاولى من ابن حوقل إذ قال الاخير في وصفها :" وهي مدينة على نحر بحر الروم . . ." [٣١] ، وذيلها بعبارة اليعقوبي :" وللإسكندرية كور مما ليس على البحر المالح"[٣٢]، ويستغرب هنا ذكر الادريسي للبحر المتوسط الذي كان يطلق عليه حينها " بحر الروم " [٣٣]، ومن خلال وصف الادريسي نفسه لحدود مصر فقال أن مصر يحدها من الشمال :" البحر الشامي " [٣٤] وعندما ذكر ابتداء نهر النيل –إذ وصفه خطا من الشمال الى الجنوب – :" وأما طول نهر النيل من ساحل بحر الروم حيث ابتداؤه " [٣٥] ، وفي متن كتابه يصف موقع بحر الملح في جنوب :" بحر القلزم " وكل ما يتصل بشرقي مدينة عيذاب حتى جنوب اليمن [٣٦]، يبدو أن وصفه ب البحر المالح ورد خطأ أو أن وصفه بحر الروم بالمالح تمييزا عن نهر النيل الذي كان يطلق عليه أحيانا بمصر (البحر) .

ومن ثمَّ يتحدث عن آثارها وبنيانها متعجبا من ذلك مادحا لها ولمن بناها [٣٧]، ولا يخفى في وصفه للإسكندرية مبالغة في تعظيمها ونسبتها للإسكندر ، ومن ثم وقوعها على اهم الطرق التجارية المؤدية الى جنوب افريقيا وسواحل الاحمر وامتداد الطرق البحرية حتى المحيط الهندي ، لذا كانت من احفل الموانئ في تلك الفترة وهذا تطلب أن يحصل فيها حركة بناء للعاملين والقادمين ومنشآت من شأنها تزويد أولئك بما يمكن من الترويح والخدمة .

ومن المرجح أن المدينة بنيت لأكثر من مرة وفي اكثر من عهد بسبب موقعها المميز على البحر المتوسط (بحر الروم ) اذ نسبت الى ذي القرنين ومن ثم الى الملك شداد بن عاد ومن ثم الى احد ملوك مصر القديمة هرمس الاول ( ويقصد به النبي ادريس عليه السلام ) ، والاشهر في نسبتها الى الاسكندر المقدوني ، وذلك يدل بما لا يقبل الشك انها بنيت في مراحل عدة زيد أو نقص منها بسبب الحوادث الطبيعية والبشرية ، وقد يكون وصف ابن عبد الحكم اقرب الى الصواب إذ سرد العديد من الروايات عنها[٣٨] .

وبما أن الادريسي يسكن في جزيرة صقلية التي ما انفك تجارها من القدوم اليهما ، فضلا عن أن صقلية تعد مكان استرخاء واستراحة للأوربيين القادمين بتجارتهم الى غرب أوربا ، وللأندلسيين القادمين للحج كابن جبير والتجار منهم أيضا ، وهكذا لم تغب أخبار الاسكندرية عن سكان صقلية لاسيما اذا علمنا أن هنالك جالية عربية مسلمة كبيرة يقطنون بسلام بها ، واخبار كلا الموضعين (الاسكندرية وجزيرة صقلية) تتوارد وكأنها تقارير يومية من قبل التجار الذاهبين والقادمين من كلا المكانين لذا لا شك أن جزء مهم من معلومات الادريسي عن الاسكندرية جاءت من

هؤلاء التجار والرحالة ، فضلا عن اداء فريضة الحج التي يمر بها الحجاج (أي صقلية والاسكندرية) سواء كانوا من الاندلس أو من أهل صقلية المسلمين .

- **وصف البناء :**

اشار الادريسي الى بناء الاسكندرية مبتدأ بالسور فقال : " حصينة الاسوار" ، وقد اشار الى مثل ذلك ابن رسته [٣٩] ، وكذا وكذا قال المقدسي :" الاسكندرية قصبة نفيسة على بحر الروم عليها حصن منيع . . ." [٤٠]، وإذا ما اخذنا بنظر الاعتبار أن الادريسي ألف كتابه ما بين ٥٣٣-٥٤٨هـ /١١٣٨-١١٥٣م ، فقد كانت الاسكندرية في تلك الفترة تحت حكم الدولة الفاطمية وكانت قوة الدولة بمن تولى عليها من الوزراء ، لانهم أصحاب السلطة الفعلية في مصر آنذاك ، وقد تعرضت في تلك الفترة الى هجمات عدة من قبل الصليبيين والقبائل من ناحية برقة[٤١]، مما دفع حكام مصر الى تحصينها وتقوية اسوارها[٤٢]، وقد أشار ابن كثير لاهتمام السلطان صلاح الدين بالإسكندرية وتحصيناتها سنة ٥٧٧هـ/١١٦٢م ، " وَفِي شَوَّالٍ تَوَجَّهَ الْمَلِكُ صَلَاحُ الدِّينِ إِلَى الإسكندرية لينظر مَا أَمَرَ بِهِ مِنْ تَحْصِينِ سُورِهَا وَعِمَارَةِ أبراجها وقصورها" [٤٣] .

ولم يذكر ابن جبير عند دخوله الى الاسكندرية سورها البتة وانما ركز في دخوله المدينة الى ما قام به عمال الديوان [٤٤]، الا انهما اتفقا على أنها كبيرة واسعة كثيرة البناء فسيحة المسالك ، فقال الادريسي واصفا :" كثيرة العمارة شامخة البناء . . . شوارعها فساح وعقائد بنيانها صحاح وفرش دورها بالرخام والمرمر وحنايا ابنيتها بالعمد المشمر (او المُسَمَّر) " [٤٥]، ولم يكتف الادريسي بوصف هيئة المباني وانما تطرق الى مواد البناء كـ(الرخام والمرمر والعمد المشمر ) [٤٦]، وكان في وصفه دالة على كون ضوء القمر عند البدر ينعكس على مواد بنائها فتضاء بنوره البيوت [٤٧]، ويبدو أن ما صوره ابن جبير عنها في :" اتساع مبانيه . . . اوسع مسالك منه ولا اعلى مبنى ولا اعتق" [٤٨] ، الا انه لم يتطرق الى تفاصيل ذكرها الادريسي كمواد البناء وطبيعة تلك المواد مع انعكاس الضوء عليها ، الا أن الملاحظ أن كلاهما اشار الى وجود مبان مركبة أو ذات ارتفاع يدل على أنها من عدة طوابق .

ثم يتطرق كلاهما الى البناء تحت سطح الارض وجريان ماء نهر النيل في قنوات متصلة لإيصال المياه العذبة بسهولة للسكان ، ولحاجة المدينة منها لغرض الوضوء ولكثرة المساجد والحمامات فيها فضلا عن الفنادق والخانات كما اسلفنا ، فقال الادريسي :"

والنيل الغربي منها يدخل تحت اقبية دورها كلها وتتصل دواميس[٤٩] بعضها ببعض وهي في ذاتها كثيرة الضياء " [٥٠]، وبتعبير ابن جبير :" ومن العجب في وصفه أن بناءه تحت الارض كبنائه فوقها واعتق وامتن ، لان ماء النيل يخترق جميع ديارها وازقتها تحت الارض فتتصل لآبار بعضها ببعض ويمد بعضها بعضا "[٥١] ، ونستدل من المقدسي موضحا :" شربهم من النيل يدخل عليهم ايام زيادته في قناة فيملأ صهاريجهم"[٥٢] .

ثم يتطرقان الى وصف الاسواق فيها بالقول :" واسواقها كثيرة الاتساع " ، " واسواقه في نهاية من الاحتفال " [٥٣]، أي انهما اتفقا على اتساع الاسواق وانها حافلة بما فيها من بضائع وتجار وفعلة وغيرهم ، وقد عبر عن تجارتها الادريسي بقوله :" رائجة التجارة " ، وهو توضيح لكلمة "حافلة" عند ابن جبير ، ويلاحظ عند ابن جبير الذي اسهب في مواضع ، واختصر بأخرى تبرر نوع الانتقائية في الوصف وربما يدل على سرعة الانتقال او نسيان تلك المعلومات ، الامر الذي ارتكز عند الادريسي الذي لم تذبذب بفعل المتغير المعنوي حيث أنه مستقر في كتابته وايراده للمعلومات .

ولا نغفل ما وصفه الادريسي عن اشجارها ومزارعها: " نامية الاشجار . . . ومزارعها واسعة الانتفاع " [٥٤]، وفي ذلك تأكيد على وجود الزراعة بها ، فالأرض الخصبة وتوفر المياه العذبة واليد العاملة هي نواة الزراعة [٥٥]، ووجود الاشجار سواء كانت طبيعية أم مزروعة ، الامر الذي لم يتطرق اليه ابن جبير البتة ، ولم يغفل ذلك في وصفه للمدن التي اجتازها في رحلته.

الا أن اختلاف ابن جبير مع الادريسي بذكر المدارس أو المحارس [٥٦]، الامر الذي لم يرد في متن كتاب الادريسي ! ، ويبدو أن كثرتها في وقت الرحلة مستحدث ، وزاد ابن جبير في ذكر كثرة المساجد في الاسكندرية فقال :" وهي اكثر بلاد الله مساجدا " ، فيها ما بين ١٢ الف الى ٨ الاف مسجد [٥٧]، ومنها ما يكون مركبا [٥٨] . أي يحتوي على مدرسة ومسجد لأكثر من مذهب ، ولا نعلم على وجه التحديد ما الذي دفع الادريسي في الاحجام عن ذكر المساجد في الاسكندرية ، وهل للفارق الزمني اثره في زيادة عددها ، لكن ذلك لا يعني انها في وقت تأليف الادريسي كانت خالية من المساجد[٥٩] .

كما زاد ابن جبير في وصفة للمدينة بما فيها من حمامات ومشفى للغرباء (المغاربة)[٦٠]، هنا يمتدح ابن جبير السلطان صلاح الدين الايوبي على تخصيصه لهذه المرافق لخدمة القادمين من الغرب (الاندلس والمغرب العربي ) ، ويبدو أن الغرض من ذلك ليس الاعتناء بالغرباء والمنقطعين فحسب ، وانما اتقاءً من نقل المرض والعدوى منهم لأهل المدينة ، كما خصص لكل منقطع منهم مأوى

وخبزين يوميا بحسب وصف ابن جبير ، وهو نوع متقدم من الرعاية الاجتماعية في تلك الحقبة.

وقد وصف حال اهل الاسكندرية بقوله : " واما اهل بلده ففي نهاية في الترفيه واتساع الاحوال لا يلزمهم وظيفة البتة " [٦١]، ويدل ذلك على ما يدر على اهلها من سعة الرزق من التجارة المربحة التي يكتسبونها في موقع المدينة على البحر ، وذلك ما اشار اليه الادريسي بقوله :" رائجة التجارة . . . واسواقها كثيرة الاتساع "[٦٢].

## ثالثا / وصف منار الاسكندرية :

لم يقتصر انبهار كلا الشخصيتين على المدينة وبنائها ، إذ شمل وصف المنار الجانب الاوفر من ذلك الانبهار والتعجب ، فقد اثار الادريسي لوصفها العديد من التساؤلات فقال عنها :" وفيها المنارة التي ليس على قرار الارض مثلها ولا اوثق منها عقدا " [٦٣] ، وجاء عبارة :"ليس على قرار الارض مثلها" ، زيادة ومبالغة واضحة فإن كان وصفه ما بين سنوات ٥٣٣-٥٤٧ه/١١٣٨-١١٥٣م كما قال في مقدمة كتابه ، فقد قيل عن منار الاسكندرية الكثير من باب التعجب والمبالغة ، فعلى سبيل المثال لا الحصر ما ذكره ابن خرداذبة نقلا عن عبد الله بن عمرو بن العاص " عجائب الدنيا اربع مرآة كانت معلقة بمنار الاسكندرية " [٦٤] .

والمعروف ان بناء المنار -تسمية وغرضا- كانت وسيلة للتنبيه والارشاد فقد استحدثت بحسب المؤرخين والبلدانيين لكشف ورصد السفن القادمة من البحر الى البلد كونها ثغر البحر لبلاد مصر وتفاوت ارتفاعها وطرق التنبيه فيها ، فقد وصف ابن جبير المسافة التي ترى منها المنار على نحو " العشرين ميلا" [٦٥]، أي ما يقارب ٣٨ كم بحري تقريبا ، وفي موضع لاحق يصف بها المنار قائلا:" ومن اعظم ما شاهدناه من عجائبها . . . يظهر على ازيد من سبعين ميلا" [٦٦]، وهو ما يقارب ١٢٩,٦٤ كم بحري ، ومن الغريب ان الواصف هو شخص واحد تغير بعد المسافة بين عشرين الى سبعين ميلا ، ولم يبرر لنا سبب ذلك !!.

ويبدو ان ابن جبير اعتمد في كلامه اولا على رأي من كان معه في المركب وبعد وصوله الى بر الاسكندرية في حديثه عن صفات المنار علم أنها ترى على مسافة سبعين ميلا ، وهنا لا ندري لم يعقب ابن جبير على ذلك خصوصا اذا ما علمنا ان الكتاب أي الرحلة قد تم مراجعته على الاقل مرة واحدة ، وقد انتشر في بلدان الغرب الاسلامي [٦٧].

وصف الادريسي بعض معالم المنار وشكل بنائها ، فقال :" احجارها من صميم الكدان " ، وقد وردت في معاجم اللغة بـ(الكذان) : وهو حجارة بيضاء رخوة تلمع بانعكاس ضوء

الشمس [٦٨]، وزاد ابن منظور في تعريفه لها :" الكَذَّان : بالفتح حجارة كأنها المدر فيها رخاوة ربما كانت نخرة والواحدة كَذَّانة" [٦٩]، والمدر : هو الطين اليابس فيه رخاوة [٧٠]، وزاد الادريسي في وصف الصاق تلك الأحجار بالرصاص فقال :" وقد افرغ الرصاص في اوصالها فبعضها مرتبط ببعض معقود لا ينفك التأمها "[٧١]، ويقترب هذا الوصف من احد الكتاب الذين زاروا المنار ووصفوها من الخارج والداخل، فقد قال عنها البلوي عندما دخلها سنة ٥٦١هـ :" وقد احكم الصاقه وبناؤه بالرصاص في اقفال من حديد تمسك ذلك الكدان المنحوت " [٧٢]، وكان لابن حوقل إشارة قريبة من ذلك بقوله :" وفيها المنارة المشهورة المبنية بالحجارة المركبة المضببة بالرصاص "[٧٣] .

وقد اثار بناء المنار اعجاب ابن جبير فقال :" ومبناه في غاية العتاقة والوثاقة " ، دون التطرق الى مادته سوى تأكيد "الوثاقة والعتاقة" ، واستدرك كلامه بمبالغة ممزوجة بلطافة التعبير :" يزاحم الجو سمواً وارتفاعا يقصر عنه الوصف وينحسر دونه الطرف الخبر عنه يضيق والمشاهدة له تتسع"[٧٤]، وهنا لابد من وقفة فإعجاب ابن جبير قائم على مشاهدة يفترض انها في بداية رحلته وأول بشارة له بالوصول الى البر المصري هي مشاهدة المنار ، لذا ندرك ان الاعجاب للمنار لا من ما قرأه مرارا عنها خاصة اذا ما علمنا أنه استعان بكتاب (المسالك والممالك) للبكري (ت٤٧٨ه/١٠٨٥م) [٧٥]، عند حديثه عن حائط العجوز ، المذكور في صعيد مصر .

وفي العودة الى معلومات ابن جبير فلم ينقل من البكري شيء في الرحلة عن وصف اثار مصر سوى ذلك الاستشهاد بحائط العجوز [٧٦]، فاوجز بما سبق من الكلام ، الا انه قدم وصف لقاعدة المنار وارتفاعه :" ذرعنا احد جوانبه أربعة فألفينا فيه نيفا وخمسين باعا [٧٧]ويذكر أن طوله أزيد من مئة وخمسين قامة " ، والباع : هو قدر مد اليدين وما بينهما من البدن وتدعوه العرب بالقامة ويساوي من حيث الأساس (٤اذرع شرعية) أي (١٩٩,٥سم) والباع المصرية تساوي (٤اذرع تجارية) أي (٣م)[٧٨]، فطول ظلعها ما بين ١٠٠,٧٤–١٥١,٥م ، بمحيط ٤٠٢,٩٦–٦٠٦م ، واذا اخذنا بكلام هنتس على أن الباع = القامة ، فإن طولها بحسب ابن جبير يصل الى ما بين ٢٩٩,٢٥–٤٥٠م ، ولا يختلف اغلب من وصف المنار ان لها قاعدة مربعة الشكل على ربوة تزيد من ارتفاعها عن سطح البحر [٧٩]، اما عن طول ارتفاع المنار فكثرت الآراء في ذلك منها ما قاله الادريسي عنها ، وقد شاهد ابن جبير المنار من الداخل الا انه عزف عن وصفها فقال باختصار ملفت :" وأما داخله فمرأى هائل ، اتساع ومعارج ومداخل وكثرة مساكن ، حتى أن المتصرف فيها والوالج في مسالكها ربما ضل ، . . . ، وفي أعلاه

مسجد موصوف بالبركة يتبرك به الناس بالصلاة فيه **طلعنا** اليه يوم الخميس الخامس لذي الحجة المؤرخ **وصلينا** في المسجد المبارك المذكور " [٨٠]، ولهذا النص توثيق دخوله داخل المنار ، الا انه لم يصفها من الداخل على انه مكث في الاسكندرية ٩ ايام بلياليها [٨١].

وعند التطرق الى وصف الادريسي لها ، ان بينها وبين البحر ميل وبينها وبين البر ٣ اميال ، ثم قال عن ارتفاعها :"ثلاثمائة ذراع بالرشاشي " [٨٢]، ثم يقسم ذلك الارتفاع للمنار :" أن طولها كله مائة قامة منها ست وتسعون قامة الى القبة التي في اعلاها وطول القبة اربع قامات " ، وقبل ان نسترسل في وصف الادريسي يشير الى وجود قبة في اعلى المنار ، وهي التي قال عنها ابن جبير بالمسجد في أعلاه ، وهنا لابد من استعراض نقد ابن حوقل لحال القبة قبل سقوطها :" فوقعت منه قبة عظيمة كانت رأس المنار لطول العهد لا كما يدعي المحاليون في حماقات ورقاعات مصنفة أنها بنيت لمرآة كانت فيها يُرى سائر ما يدخل الى بحر الروم من درمون حمال الى شلندي مستعد للقتال"[٨٣] .

ثم يقسم الادريسي ارتفاع وشكل المنار الى احزمة من الأرض الى الحزام الأوسط ٧٠قامة ومن الأوسط الى اعلاها ٢٦ قامة ، ثم يصعد الى الأعلى بدرج عريض في وسطها الى نصفها ويتقلص البناء الى النصف ، وفي داخل البناء وتحته بيوت ، ويضيق متنها بعد الحزام الأوسط الى الأعلى:" بمقدار ما يستدير انسان من كل ناحية " ، ويستمر متنها في الضيق حتى اعلاها ، وفيها ما عرف بـ "زراقات " [٨٤] تدخل الضوء كي يستدل الصاعد فيها في النهار الى موضع قدميه ، ثم يختم وصفه لها بالوظيفة المرجوة منها بقوله :" والمنفعة فيها انها علم توقد النار بها في وسطها بالليل والنهار في أوقات سفر المراكب ، فيرى اهل المراكب تلك النار بالليل والنهار فيعملون عليها " وسمى تلك النار " فانوسا" لم يتطرق الى المسجد الذي أشار اليه وصلى به ابن جبير .

وعند مقارنة وصف كلا الرجلين نجد ان هنالك قصور واضح في الوصف فقد زاد العديد من البلدانيين على وصفهم [٨٥]، الا ان حظ الادريسي اوفر في الوصف من ابن جبير! ، والمتتبع لرحلة ابن جبير يجد فيها وصفا مميزا لبعض الاثار التي تفقدها واسهب فيها منها على سبيل المثال لا الحصر، البرابي والمعبد بمدينة اخميم في مصر [٨٦].

وكما قدمنا أن للاسكندرية بناء تحت الأرض وفوقها ، فالنظر اليها من الخارج غير الداخل ، وقد أشار عبد اللطيف البغدادي (ت٦٢٩هـ) الى ارتفاع قاعدة المنار بقوله :" وهو على جبل طوله ثلاث وعشرون ذراعا ونصف "[٨٧] ، وقال صاحب كتاب

(الاستبصار) :" والمنارة في اعلا هضبة منها(أي الإسكندرية)" [٨٨]، فزاد ذلك من ارتفاع المنار للناظر لها من بعد في البحر أو من على اليابسة .

وكان للسائح الهروي (ت٦١١هـ/١٢١٤م) رأي آخر عن انبهار البلدانيين والمؤرخين بوصف المنار إذ قال عنها :" وانما المنار اليوم ليست من العجائب ، انما هي على هيئة مثال البرج على ساحل البحر على هيئة المرقب " [٨٩]، ولم يذكر السائح الهروي وجود المسجد في اعلى المنار ، وقد أشار معاصره عبد اللطيف البغدادي(ت٦٢٩هـ/١٢٣١م) :" وفوق ذلك مسجد ارتفاعه نحو عشرة اذرع "[٩٠] ، أي ما يقارب خمسة امتار .

**– السواري :**

ومما اثار اعجاب ودهشة كلا الجغرافيين معلم السواري الكثيرة والتي اختلفا في وصفها تبعا لما ورد اليهم من اخبارها ، فكان وصف الادريسي لها على انها بقايا مجلس منسوب للنبي سليمان بن عليهما السلام، وجعل مكانه جنوب الإسكندرية ، ثم يشير الى أن احد الملوك البائدة " يعمر بن شداد " هو الذي بناه ، و"يقال" أن النبي سليمان هو من بناه ، واسطواناته وعضاداته باقية الى وقت تاليف الكتاب :" الى الآن " ، ثم يصفه :" أنه مجلس مربع الطول في كل رأس منه ١٦ سارية وفي الجانبين المتطاولين من ٦٧ سارية وفي الركن الشمالي منه أسطوانة عظيمة وأسها عليها وفي اسفلها قاعدة رخام في محيط تربيع وجوهها ٨٠ شبرا في عرض كل وجه ٢٠ شبرا ودور محيط هذه السارية ٤٠ شبرا وطولها من القاعدة الى رأسها تسع قيم والرأس منقوش مخرم بأحكم صنعة واتقن وضع " ، مبينا أن لا مثيل لها ، ولا يعلم احد من اهل مصر والإسكندرية المراد بوضعها ، كما أشار الى ميلانها :" وهي الآن مائلة ميلا كثيرا لكنها ثابتة آمنة من السقوط " [٩١]، أما ابن جبير فقد قال عنها :" وعاينا فيها أيضا من سواري الرخام والواحه كثرة وعلوا واتساعا وحسنا ما لا يتخيل بالوهم حتى انك تلفي في بعض الممرات بها سواري يغص الجو بها صعودا ، لا يدرى ما معناه ولا لم كان اصل وضعها ، وذكر لنا أنه كان عليها في القديم مبانٍ للفلاسفة خاصة ولاهل الرئاسة في ذلك الزمان والله اعلم ويشبه أن يكون ذلك للرصد " [٩٢]، وهنا يدرج ابن جبير رأيا سمعه من اهل المدينة انها كانت مكان لمناظرات ودروس الفلاسفة الكبار ، وهذا الراي يدل أن ابن جبير الزائر الداخل لمدينة الإسكندرية والذي توفي فيها سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م ، بعد ان حط لحاله فيها ، كانه لم يقرأ عنها شيئا مما ألفه البلدانيين الذين سبقوه والملفت للانتباه انه ذكر كما

اسلفنا كتاب المسالك والممالك الذي استعان به عند ذكر حائط العجوزة .

لقد درس العديد من الباحثين رحلة ابن جبير لكنهم لم ينقدوها ، ولم يقارنوا اسهابه تارة وتغاضيه تارة أخرى جهله بامور أشار اليها من سبقه فلم يكن ابن جبير قليل الثقافة والدراية قبل وبعد الرحلة ، اثرت معلوماته العديد من الرحالة الذين جالوا المشرق الإسلامي بعده ، وما كلامه عن السلطان صلاح الدين ومدحه إياه قبل استرداد القدس من قبيل الصدفة ، والا ما الذي دفعه الى كتابة الرحلة؟ ! .

فلو عرضنا رأي الغرناطي الذي زار الإسكندرية ٥١١ه/١١١٦[٩٣] ، فقد قال عن السواري : " وكما ذكرت قد عملت الجن لسليمان عليه السلام في الإسكندرية مجلسا من أعمدة الرخام الأحمر الملون . . . وعدد الاعمدة ثلاثمائة او نحوها كل عمود ثلاثون ذراعا على قاعدة من رخام على راسها قاعدة أخرى من رخام في غاية من الاحكام .وفي وسط ذلك المجلس عمود من رخام طوله مائة ذراع واحد عشر ذراعا ملونا كسائر الاعمدة وكان قد قطعت الجن سقف ذلك البيت الذي هو مجلس سليمان من حجر واحد اخضر مربع فلما بلغهم موت سليمان عليه السلام القوه على جانب النيل في اخر ولاية مصر ، ومن جملة تلك الاعمدة . . .عمود واحد يتحرك شرقا وغربا بطلوع الشمس وغروبها . . . ولا يدرون سبب حركته " [٩٤] .

وفي وصف الغرناطي مبالغات تعمد في ذكرها لاعطاء رحلته طابعا عجائبيا ، واقتناص ما هو غريب كي تأخذ رحلته عظيم الدهشة والانبهار ، الامر الذي لم نجده في رحلة ابن جبير من حيث الدخول في مواضيع تندرج في التراث السابق للمدينة ، الا أن البغدادي المعاصر لابن جبير يعطي وصفا اخر بقوله :" ورأيت بالإسكندرية عمود السواري وهو عمود احمر منقط من الحجر المانع الصوان عظيم الغلظ جدا شاهق الطول لا يبعد أن يكون طوله سبعين ذراعا وقطره خمسة اذرع وتحته قاعدة عظيمة تناسبه وعلى راسه قاعدة أخرى عظيمة وارتفاعها عليه بهندام . . .ثم أني رأيت بشاطئ البحر مما يلي سور المدينة اكثر من اربع مائة عمود مكسرة انصافا وأثلاثا حجرها من جنس حجر عمود السواري " [٩٥]، لكنه ذكر انها المكان الذي كان يدرس فيه الفلاسفة مثل ارسطو وطلابه ، وهو ذاته دار العلم الذي بناه الاسكندر ، وهنا يكمن اتفاق إشارة ابن جبير مع البغدادي ، ومما تقدم يبدو أن فكرة المكان كان للفلاسفة والمكتبة راج في تلك الفترة ما بين رحلة ابن جبير وعبد الطيف البغدادي أي ما بين ٥٧٨هـ-٦٠٠هـ/١١٨٣-١٢٠٤م ، كذا سماه ابن خلدون(ت٨٠٨هـ) :"

عمود السواري ورواق الحكمة " ، واتي المقريزي بنص فيه تفسير لوجودها على انها رواق الحكمة بقوله :" ويذكر أن هذا العمود من جملة أعمدة كانت تحمل رواق أرسطاطاليس الذي كان يدرس به الحكمة، وأنه كان دار علم، وفيه خزانة كتب" ، كما ادرج العديد من الروايات عنها[٩٦] .

وقد اكد وجودها ابن بطوطة (ت٧٧٩ه)، عند زيارته لمصر والاسكندرية سنة٧٥٠ه /١٣٥١م، ذاكرا عمود اسمه بعمود السواري ، موقعه وسط النخل :" ومن غرائب هذه المدينة عمود الرخام الذي بخارجها ، والمسمى عندهم بعمود السواري . . . وهو قطعة واحدة محكمة النحت ، قد أقيم على حجارة مربعة أمثال الدكاكين ولا يعرف كيفية وضعه هناك ولا يتحقق من وضعه "[٩٧]، وفي عبارات ابن بطوطة على عجائب وردت في رحلته الا انه هنا كان موضوعيا مستوعبا لما ذكر عنها فتحاشاه.

كما أوضح الهروي اصل الحجارة ومن اين قطعت فقال عن مدينة اسوان :" وجميع معادن حجارة المانع والعمد التى بالديار المصرية ومسال فرعون وعمد السوارى بالإسكندرية من جبال هذه المدينة. . . ورأيت آثار القطاعات فى الجبل والحجارة المانع والعمد مقطوعة، ورأيت هناك عامودا قريبا من قرية يقال لها: بلاق أو براق، تسميه أهلها الصقالة، وهو مانع مجزع بحمرة ورأسه قد غطاه الرمل، فذرعت ما ظهر منه فكان خمسا وخمسين ذراعا، وهو مربع كل وجه منه سبعة أذرع، وفى البحر موضع ضيق ذكروا أنهم أرادوا أن يعملوا منه جسرا، والله أعلم" [٩٨]، وكذا يتبين لنا أنها كشكل مجزا في بطون الكتب لابد من تكملته بقرائن وجدت في كتب أخرى .

**الخاتمة :**

خرج البحث في عرض مدينة الإسكندرية كدراسة مقارنة بين الادريسي وابن جبير بعدة نتائج :-

أولا / إزاء المعلومات الوافرة لدى الادريسي الا انه لم يات على مجمل ما قيل عن الإسكندرية فوصفه مقتن نسبة الى البكري مثلا ، لكنه اوفر حضا من ابن جبير الذي يبدو منه متعلما أكثر منه عالما بواقع الإسكندرية واثارها .

ثانيا / اعطى ابن جبير بحكم قدومه للاسكندرية عن طريق البحر مسافة لرؤية المنار تارة ٢٠ميل وتارة أخرى ٧٠ ميل ، الامر الذي لم يشر اليه الادريسي .

ثالثا / لم يذكرا التركيبة السكانية للمدينة ، فوصف كل منهما كان لغرض وهدف مختلف ، الأول اهتم بالمشهور من المظهر العمراني والزراعي ، والثاني انصب اهتمامه بما تعرض له من عمال الديوان

وما يحصل عليه القادم من الغرب من رعاية معاشية وصحية ، ومن ثم الاهتمام بالتبرك ببعض المواضع كالمسجد في اعلى المنار .

رابعا / لم يذهب كلا الرجلين الى بعض الاقاويل التي شابها المبالغة والاساطير الا ان ابن جبير أشار الى العمد الموجود بكثرة في الإسكندرية ومنها ما عرف بعمود السواري على انه بناء للفلاسفة، وهو امر مستغرب حيث أن ابن جبير لم يذكر أمورا تعارف عليها من زار الإسكندرية منها اصل التسمية أو السبب في بناء المنار وغيرها مما عرض في البحث .

خامسا / معروف أن الادريسي الف الكتاب في صقلية بطلب من الملك روجر الثاني ، الا ان عباراته عن مقدسات المسلمين كانت جافة ( يسمي المدينة –يثرب ، يصف سعة المساحة قرب الكعبة " وهي كالحضيرة" ، وذكره للنبي سليمان عليه السلام بدون توقير باسمه فقط) ، ويبدوا أن الرجل كان يعاني من ازمة التقديس للمسلمين وهو موضوع جدير بالاهتمام .

سادسا/ ظهر وصف الحاكم لمصر وللاسكندرية (صلاح الدين الايوبي) لدى ابن جبير فنال الاحترام والتقدير ، في نجدته للمغاربة المنقطعين ، فوفر لهم المأوى والحمامات والطعام فضلا عن نصب بيمارستان خاص لهم ، وظاهر الحال هو عناية السلطة الحاكمة بالثغر الاسكندري ، فضلا عن معرفة بوجود المغاربة وتوفير المأوى والفحص الطبي خوفا من انتشار الامراض ، ولا يخفى عناية السلطان صلاح الدين في التودد للمغاربة والقادمين من الغرب (المغرب والاندلس) لتحسين العلاقة بين كلا القوتين وترطيب العلاقة بينهما خاصة وهو يقاتل عدو مشترك –الصليبيين – ذلك من جانب.

ومن جانب آخر لم يغب عن السلطة الحاكمة –الايوبيين – الاحتراز من القادمين من الغرب ، فقد تتوقع منهم مغامرة عسكرية تقوم بها دولة الموحدين ، فقد أشار ابن جبير الى مثل ذلك بقوله :" ولا هل مصر في شان هذه هذه القنطرة انذار من الانذارات الحدثانية يرون أن حدوثها ايذان باستيلاء الموحدين عليها وعلى الجهات الشرقية، والله أعلم بغيبه" ، وفي موضع لاحق :" ولم يبق الا الكائنة السعيدة من تملك الموحدين لهذه البلاد، فهم يستطلعون بها صبحا جليا ويقطعون بصحتها، ويرتقبونها ارتقاب الساعة التي لا يمترون في انجاز وعدها " ، وفي النصين إشارة الى مأمول المغاربة في السيطرة على مصر مما أوجب على حكامها الاحتراز واليقظة .

وفي الختام يوصي الباحثان :

- لابد من دراسة موضوعية تقوم على المقارنة لرحلة ابن جبير كقياس للوصف بين منطقة وأخرى وللاسلوب السردي والمعلومة الجغرافية والتاريخية .

- كما يتوجب متابعة أماكن التقديس لدى الادريسي وإيجاد حلول للعبارات الجافة التي وردت في كتابه عن مقدسات المسلمين .

**الهوامش:**

(١) صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي (ت٧٦٤ه) ، الوافي بالوفيات ، اعتناء : هلموت ريتر ، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية ، بيروت ، ٢٠٠٨م ، ١٦٣/١ .ينظر أيضا ، ادوارد كرنيليوس فانديك ،اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، أشهر التآليف العربية في المطابع الشرقية والغربية ،صححه وزاد عليه: السيد محمد علي الببلاوي ، مطبعة الهلال ، القاهرة ،١٨٩٦م،٥٢؛ يوسف بن إليان بن موسى سركيس ، معجم المطبوعات العربية والمعربة ، مطبعة سركيس بمصر ، ١٩٢٨ ،٤١٤/٢ .

(٢) محيي الدين عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي، (ت٦٤٧هـ) ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين ، تحقيق : صلاح الدين الهواري ،المكتبة العصرية، صيدا–بيروت، ٢٠٠٦م ، ٤١ ؛ احمد بن محمد بن عذاري ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، تحقيق : ج.س.كولان وليفي بروفنسال ، ط٢ دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨٠م ، ج١١٤/٣ .

(٣) Ar. M. Wikipedia .org

(٤) خضر موسى محمد حمودة ، ادب الرحلات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،٢٠١١م،٧٠ .

(٥) وينسب له كتاب الادوية المفردة اذ ذكر ذلك ابن ابي اصيبعة :" الشريف مُحَمَّد بن مُحَمَّد الحسني هُوَ أَبُو عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الله بن إِدْرِيس الحسني ويلقب بالعالي بِاللَّه ، كَانَ فَاضلا عَالما بقوى الْأَدْوِيَة المفردة ومنافعها ومنابتها وأعيانها وَله من الْكتب كتاب الْأَدْوِيَة المفردة " ؛ ينظر احمد بن القاسم بن خليفة المعروف بابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء في طبقات الأطباء ، تحقيق : نزار رضا ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٥م، ٥٠١؛ كحون ، ذكريات ، ٨؛ حمودة ، ادب الرحلات ، ٧٠ ، السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ، مؤسسة الشباب الجامعة للطباعة والنشر ، الإسكندرية ، د:ت، ٢٦ .

(٦) عن وصفه لشبونة قال: " وقد رأيناه عيانا" ، نزهة المشتاق ، ٥٤٧/٢ ؛ينظر أيضا اغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي العربي ، نقله عن الروسية: صلاح الدين عثمان ، ط٢، دار الغرب الإسلامي، تونس، ١٩٨٧،٣٠٤ .

(٧) الوافي بالوفيات ، ١٠٦/١٤ .

(٨) جمال الدين محمد بن سالم بن واصل (ت٦٩٨ه) ، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، الجزء الرابع تحقيق : محمد حسنين ربيع ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ١٩٧٢، ٢٣٤/٤ .

(٩) عبد الله كنون الحسني ، ذكريات ومشاهير رجال المغرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د:ت ، ٦ .

(١٠) بوفيل ، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير ، ط٢، منقحة ومزيدة بقلم : روبن هايت ، ترجمة : الهادي أبو لقمة ومحمد عزيز بنغازي ، منشورات جامعة قار يونس ، ١٩٨٨م، ١٢١ ؛ فلورنس امازالاغ تاستاشيف ، عبقرية الحضارة العربية منبع الحضارة الاوربية ، ترجمة : عبد الكريم محفوظ ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، ١٩٨٢م ، ٤٢ .

(١١) كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب ، ٦-٧؛ تاستاشيف ، عبقرية ، ٤٢ .

(١٢) كنون ، ذكريات ، ٧ .

(١٣)نزهة المشتاق ،٢٩٧/١ .

(١٤) المصدر نفسه ، ٢٨١/١-٢٨٢ .

(١٥) للمزيد عن الادريسي وكتابه " نزهة المشتاق . . ." ينظر بسمة محمد محمود يحيى ، الاندلس من خلال كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للادريسي دراسة تحليلية مقارنة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مقدمة الى مجلس كلية التربية في جامعة الموصل، الموصل ، ٢٠١٣م ،١-٢١ .

(١٦) محمد بن محمد بن عبد الملك المراكشي ، الذيل والتكملة لكتاب الصلة ، تحقيق : احسان عباس ، دار الثقافة للنشر ، بيروت ، ١٩٦٥م، س٥/ق٢/٥٩٦ .

(١٧) محمد بن عبد الله بن ابي بكر بن الابار القضاعي ، التكملة لكتاب الصلة ، ضبط نصه وعلق علية : جلال السيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٨م ، ٩٥/٢ .

(١٨)المراكشي ، الذيل والتكملة ، ٥٩٥/٢/٥ .

(١٩) زكي الدين عبد العظيم المنذري ، التكملة لوفيات النقلة ، تحقيق : بشار عواد ، ، مطبعة الاداب ، النجف ، ١٩٧١م، ٢٨٩ .

(٢٠) للمزيد عن شيوخ وتلاميذ ابن جبير ينظر محمد نزار الدباغ ، المشرق العربي الإسلامي من خلال رحلة ابن جبير الأحوال السياسية والعمرانية ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى مجلس كلية التربية –جامعة الموصل ، الموصل ،٢٠٠١م ، ١٠-٦٥ .

(٢١) مؤلف مجهول ، الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية ، تحقيق : سهيل زكار ، عبد القادر زمامة ،دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ١٩٧٩م، ٩٧؛ عباس بن إبراهيم المراكشي ، الاعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام ، تحقيق : عبد الوهاب بن منصور ، المطبعة الملكية ، الرباط ، ١٩٧٦م ، ١٣١/٤ .

(٢٢) المعجب ، ٣٦٤؛ علي بن ابي زرع ، الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة ، الرباط ١٩٧٢م ، ٢٠٥-٢٠٦ .

(٢٣) ابن الابار ، التكملة ، ٩٥/٢؛ احمد بن محمد المقري التلمساني ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق: احسان عباس ، در صادر ، بيروت ، ١٩٦٨م ، ٣٨٣/٢ .

(٢٤) حمود ، ادب الرحلات ، ٩٠-٩١ .

(٢٥) الدباغ ، المشرق ، ٦١ .

(٢٦) ابي الحسن محمد بن احمد بن جبير (ت٦١٤هـ) ، رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك المعروفة برحلة ابن جبير ، منشورات دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ٢٦٧-٢٦٩ .

([٢٧]) الدباغ ، المشرق العربي ، ١٢٨-١٣١ .

([٢٨]) نزهة المشتاق ، ٣١٩/١ .

(٢٩) نسب الادريسي المدينة للاسكندر الا ان بعض البلدانين زادوا على ذلك فمنهم من أورد انها بنيت من قبل الاسكندر ذو القرنين كوصف ابن الفقيه (ت٣٦٠ه)، البلدان ، ١٢٥؛ ومنهم من نسبها لملك مصر هرمس الأول ، ومنهم من نسبها لشداد بن عاد ، ينظر مؤلف مراكشي مجهول ، الاستبصار في عجائب الامصار ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٦م، ٩٢؛ كما اسهب كل من البكري القزويني والمقريزي في جمع كل ما قيل عنها وذكر الآراء في بنائها ينظر ؛ أبو عبيد أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري (ت٤٨٧ه) ، المسالك والممالك، حققه وقدم له : ادريان فان ليوفن و اندري فيري ، الدار العربية للكتاب ، ١٩٩٢م، ٢/ ٦٢٨- ٦٤٦ ؛ زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت٦٨٢ه) ، اثار البلاد واخبار العباد ، ط٣ دار صادر ، ٢٠١١م ، ١٤٣-١٤٥؛ تقي الدين احمد بن علي المقريزي (ت٨٤٥ه) ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية ، تحقيق : محمد زينهم ومديحة الشرقاوي ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٨م،٤٠٦/١-٤٢٢ .

([٣٠]) نزهة المشتاق ،١/ ٣١٩ .

(٣١) ابو القاسم محمد بن حوقل البغدادي الموصلي (ت بعد ٣٦٧ه) ، صورة الارض ، افست ليدن ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٣٨م ، ١٥٠/١ .

(٣٢) احمد بن ابي يعقوب بن واضح اليعقوبي (المتوفى بعد ٢٩٢ه) ، كتاب البلدان ،مطبعة بريل ، ليدن ، ١٨٩٦م، ٣٣٨-٣٣٩,

(٣٣) ينظر أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري (ت٣٤٦ه) ، المسالك والممالك ، دار صادر ، بيروت، ٢٠٠٤م، ٥٢؛ ابي علي احمد بن عمر بن رسته (ت٣٥٢ه)، الاعلاق النفيسة ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٨٩٦م، ١١٧؛ أبو عبد الله محمد بن احمد المقدسي البشاري (كان حيا ٤١٤ه)، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل ، ليدن ،١٩٠٦م،١٩٦؛

( ٣٤) نزهة المشتاق ، ١/ ٣٢٢ .

( ٣٥) ذكر بحر الروم في اكثر من موضع ؛ ينظر الصفحات : ١/٣٧٧؛ ٢/٦٤٦ ؛ ٢/ ٧٣٩ .

( ٣٦) ورد في مواضع عديدة منها ؛ ١/٣٦؛ ١/٤٤؛ ١/٤٩؛ ١/٥٥؛ ١/٦٧؛ ١/١٣٣ وغيرها .

( ٣٧) نزهة المشتاق،١/٣١٩.

٣٨) عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم (ت٢٥٧) ، فتوح مصر والمغرب ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٤١٥ه، ٥٨–٦٤ .

( ٣٩) الاعلاق النفيسة ، ١١٨ .

(٤٠) احسن التقاسيم ، ١٩٦ .

( ٤١) شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت٧٤٨ه) ، تاريخ الاسلام ووفيات مشاهير الاعلام ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٩٣م،٢٣/١٢ .

(٤٢) ذكر المقريزي في حوادث سنة ٥١٧ه :" وفيها جرت عمارة سور الإسكندرية " ، اتعاظ الحنفا باخبار الائمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق : جمال الدين الشيال ومحمد حلمي محمد احمد ،لجنة احياء التراث ، القاهرة ، ١٩٩٦م، ٣/١٠٦ . وفي سنة ٥٥٧ه انشا الأمير ضرغام البرج عند باب البحر بالإسكندرية ، المصدر نفسه ، ٣/٢٥٦؛

( ٤٣) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) ،البداية والنهاية ، المحقق: علي شيري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – ١٩٨٨ م ، ١٢/٣٧٨.

( ٤٤) الرحلة ، ١٣ .

( ٤٥)نزهة ،١/٣١٩؛ وهو اقباس اخر من وصف ابن حوقل إذ قال :" وجل ابنتيها بالعمد المسمر" ، صورة الارض، ١٥١ .

(٤٦) الرخام Marble: وهو متحول من الحجر الجيري بسبب الحرارة الشديدة التي يتعرض لها عندما تندفع بين طبقاته مواد جوفية منصهرة ، واللون الغالب في الرخام اللون المائل الى البياض اذا كان نقيا ؛ للمزيد ينظر عبد العزيز طريح شرف ، المقدمات في الجغرافيا الطبيعية ، مركز الإسكندرية للكتاب ، الإسكندرية ، د/ت، ١١١–١١٢ .

العمد المشمر : أي القوي الرشيق ، ينظر محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق : مجموعة من المحققين ،دار الهداية ، بيروت ، د/ت،١٢/٢٣٦–٢٤١ .

( ٤٧) كثر وصف بناء الاسكندرية إذ انها تضيء بالليل بغير مصباح لشدة بياض رخامها ، ينظر؛ ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري (ت ٤٧٨ه) ، المسالك والممالك ، تحقيق : ادريان فان ليوفن واندري فيري ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ،١٩٩٢م، ٢/٦٣٠-٦٣١؛ وقيل ان أهلها بالنهار كانوا يضعون القماش على اعينهم لشدة بياض حجارتها لمدة ٧٠ سنة ، للمزيد ينظر ابن خرداذبة ، المسالك ، ١٦٠؛ابن الفقيه ، البلدان ، ١٢٥ .

( ٤٨) الرحلة ، ١٤؛ ينظر ايضا مجهول ، الاستبصار ، ١/٩٤-١٠١ .

( ٤٩) جمع دمس : وهو المكان المظلم داخل الأرض ، وقد يقصد به السراديب او القنوات تحت الارض ، ينظر الفراهيدي ، كتاب العين ، ٧/٢٣٤؛محمد بن احمد الازهري الهروي ، تهذيب اللغة ، تحقيق : محمد عوض مرعب ، دار احياء التراث ، بيروت ،٢٠٠١م ، ١٢/٢٦٢؛ رينهارت بيتر آن دوزي، تكملة المعاجم العربية ،نقله الى العربية وعلق عليه ، ج١-٨ محمد سليم النعيمي ، ج٩-١٠ جمال الخياط ، وزارة الثقافة والاعلام العراقية ، بغداد ١٩٧٩-٢٠٠٠م،ج٧/٢١ .

(٥٠) اشرنا في موضع سابق الى المبالغة في ضياء ابنيتها ، ينظر هامش (٢٢) .

( ٥١) نزهة ،١/٣١٩؛ الرحلة ، ١٣-١٤ .

(٥٢) احسن التقاسيم ، ١٦٧ .

(٥٣) ينظر أيضا مجهول ، الاستبصار ، ٩٢-٩٤ .

( ٥٤) نزهة ١/٣١٩ .

(٥٥) ذكر المقدسي في وصف زروعها وثمارها منه :"جيدة الفواكه والاعناب ... وفي نواحيها خرنوب وزيتون ولوز ومزارع على البعل " ، احسن التقاسيم ، ١٩٧ .

(٥٦) جمع محرس : وهو مكان لضبط الامن خاصة على الثغور البحرية وحرَّس عليه حافظ عليه ليلا ، احمد مختار عبد الحميد ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، عالم الكتب ، بيروت ، ٢٠٠٨م، ٤٧٢؛ وقد أصبح مع مرور الزمن مكان ملجأ للدارسين والزهاد والمسافرين والفقراء ينظر ؛ ابن جبير ، الرحلة ، ١٥، هامش١ .

(٥٧) أورد يوسف بن محمد البلوي المعروف بابن الشيخ (ت٦٠٤هـ) عن مخبر الإسكندرية ، :" أن داخل سورها أربعة الاف مسجد وقال آخر ستة الاف وخارجها الف مسجد " وكان ذلك عندما دخلها سنة ٥٦١هـ/١١٦٦م، ينظر كتاب ألف باء في أنواع الاداب وفنون المحاضرات واللغة ، اعتنى به وضبطه وصححه : خالد عبد الغني محفوظ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢/٥٦٨ .

(٥٨) الرحلة ، ١٥ .

(٥٩) فقد أشار البلوي عند دخوله للإسكندرية سنة ٥٦١هـ ، أن بداخل سورها ما بين ٤ – ٦ الاف مسجد وخارجها الف مسجد ، ينظر ، يوسف البلوي ، الف باء ، ج٢/٥٦٨ .

(٦٠) أشار المقريزي الى بناء السلطان صلاح الدين الايوبي مشفى (بيمارستان) في الإسكندرية سنة ٥٧٧هـ/١١٨٢م وهذا التاريخ يقترب من رحلة ابن جبير إليها ، ومن المسلم به أن ابن جبير وصف مكارم السلطان صلاح الدين فيها مع المغاربة الا أنه أشار الى اعتناءه بالمرضى منهم بقوله : " واتسع اعتناء السلطان بهؤلاء الغرباء الطارئين حتى امر بتعيين حمامات يستحمون فيها متى احتاجوا الى ذلك ونصب لهم مارستانا لعلاج من مرض منهم ووكل أطباء يتفقدون احوالهم . . ." ينظر ، ابن جبير ، الرحلة ، ١٥؛ الا أن ابن شداد مؤلف سيرة صلاح الدين لم يشر الى ذلك وقد كان حريصا على ذكر مآثر السلطان وفضائله ، فضلا عن سبط ابن الجوزي وأبو شامة وابن واصل وابن كثير لم يشيروا الى ذلك ؛ ينظر بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن شداد الموصلي (ت٦٣٢ه)، المحاسن اليوسفية والنوادر السلطانية ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، مؤسسة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٦٢م؛ شمس الدين يوسف بن قزاوغلي بن عبد الله (ت٦٥٤ه) ، مرآة الزمان في تواريخ الاعيان ، تحقيق : مجموعة من المحققين ، دار الرسالة العالمية ، دمشق ، ٢٠١٣م، ٢٧٧/٢١؛ شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي (ت٦٦٥ه) ، الرضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، تحقيق : إبراهيم الزيبق ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٧م، ٨٩/٣؛ جمال الدين محمد بن سالم بن واصل (ت٦٩٧ه)، مفرج الكروب في اخبار بني أيوب ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٥٧م، ١١٢/٢؛ ابن كثير ، البداية ، ٣٧٨/١٢؛ ولو عدنا الى النص ودققناه نجد أن ابن جبير قال عنها :" ونصب لهم مارستانا . . ." ولم يقل بنى !! ، ويبدو أن القريزي خالطه الوهم في بناء المشفى من قبل صلاح الدين انطلاقا من نص ابن جبير ؛ وبنى على ذلك الوهم الدباغ ، المشرق العربي ،١٩٠ .

(٦١) الرحلة ، ١٥.

(٦٢) نزهة المشتاق ، ٣١٩/١.

(٦٣) نزهة المشتاق ، ٣١٩/١.

(٦٤) المسالك والممالك ،١١٥؛ ابن الفقيه ، البلدان ، ١٢٦.

(٦٥) الرحلة ، ١٢.

(٦٦) الرحلة ، ١٤.

(٦٧) الدباغ ، المشرق العربي ، ٥٨-٦٥.

(٦٨) أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (ت٤٥٨ه) ، المخصص ، تحقيق : خليل إبراهيم جفال ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٩٦م، ٦٠/٣؛ أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي المطرز، المغرب في ترتيب المعرب ، تحقيق : محمد فاخوري وعبد الحميد مختار ، مكتبة أسامة بن زيد ، حلب ، ١٩٧٩م،٢٣٧/٢.

(٦٩) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي (ت٧١١ه) ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، د/ت ، ٥٠٥/٣.

(٧٠) أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي (ت١٧٠ه) ، كتاب العين ، تحقيق : محمد المخزومي وإبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال ، بغداد ، د/ت ، ٣٨/٨.

(٧١) نزهة ، ٣١٩/١.

(٧٢) ابي الحجاج يوسف بن محمد البلوي المالقي المعروف بابن الشيخ ، كتاب الف باء ، اعتنى به وضبطه وصححه : خالد عبد الغني محفوظ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د/ت، ٥٦٩/٢.

(٧٣) صورة الأرض ، ١٥١.

(٧٤) الرحلة ، ١٤.

(٧٥) ذهب الدباغ الى ان الكتاب المستخدم في متن الرحلة باسم (المسالك والممالك) ولم يذكر ابن جبير اسم مؤلفه، الى العودة للاصطخري وابن خرداذبة ، والتجأ الى كتاب البلدان لابن الفقيه ، وغاب عنه أن بيئة ابن جبير مغربية اندلسية والاقرب لتلك البيئة الالتجاء الى مؤلفات بلدانييهم ومنهم البكري اندلسي النشأة والتأليف ، ومن اهم كتبه كتاب "المسالك والممالك " فقد أورد البكري معلومات جمة عن مصر من القدم حتى وقت تأليفه للكتاب ، إذ وصف حائط المنسوب للعجوز جنوب مصر ، ينظر البكري ، المسالك والممالك ، ٥١٧/٢–٥١٨؛ الدباغ ، المشرق العربي ، ١٣٨.

(٧٦) الرحلة ، ٣١.

(٧٧) قال البلوي : " وهي مربعة كل وجه خمسة واربعون باعا " ، الف باء ، ٥٦٩/٢.

(٧٨) فالتر هنتس ، المكاييل والمقاييس والاوزان ، ١٠٦.

(٧٩) قال الغرناطي :" يدخل الانسان من الباب الى المنارة وهو مرتفع من الأرض على مقدار عشرين ذراعا" ، تحفة الالباب ، ١٠٠؛ ينظر أيضا ، البلوي ، الف باء ، ٢/ ٥٦٩؛ البغدادي ، الإفادة ، ٥٣.

(٨٠) الرحلة ، ١٤؛ كثرة الآراء عن منشئ هذا المسجد فقيل بناه الجن للنبي سليمان عليه السلام ، وقيل كان قبة للرصد ك " الديدبان" وقيل كان مرصد فلكي ، وقيل أيضا أنه مكان المرآة العجيبة التي تحرق سفن العدو ، . . .الخ ، ينظر؛ ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ٦١.

وعند استعراض ما اشير الى المنار في كتب التاريخ ففي سنة ١٨٠ه سقطت راس المنار نتيجة زلزلة عظيمة حصلت بمصر ، ينظر ؛ الطبري ، تاريخ الرسل ، ٦٤٤/٤؛ ابن الجوزي ، تاريخ الأمم ، ٤٦/٩؛ ابن الاثير ، الكامل ،٣١٤/٥؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٨٩/١.

وقد أشار الانطاكي اليها بنص مثير للدهشة :" وحدث بمصر [وأعمالها] زلزلة في الليلة التي صباحها [يوم] الاثنين لعشر خلون من ربيع الآخر سنة أربعين وثلاثمائة، وتساقطت منها عدّة دور، ومات منها خلق من الناس، وانفجرت عيون ماء في غير موضع، وانشقّت منها منارة الإسكندرية " ، يحيى بن سعيد

بن يحيى الأنطاكي (ت: ٤٥٨هـ) تاريخ الأنطاكي ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري، جروس برس ، طرابلس –لبنان ، ١٩٩٠م، ٨٠.

وأضاف المسعودي : " وكان احمد ابن طولون أمير مصر والاسكندرية والشأم رم منه شيئا وجعل في أعلاه قبة من الخشب" ينظر ؛ أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودي (ت٣٤٦هـ) التنبيه والإشراف ، تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي ، القاهرة ،د/ت ، ٤٣؛ وصرح ابن عبد الظاهر في حوادث سنة ٦٧٣ه :" منها أن منارة اسكندرية كان قد تداعى أركانها . . . وفي هذه السنة توجه السلطان متصيدا ودخل اسكندرية فرسم ما تهدم منها"، محيي الدين أبو الفضل عبد الله بن عبد الظاهر (ت٦٩٢ه) ، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، تحقيق : عبد العزيز الخويطر ، مطبعة القوات المسلحة الرياض ، ١٩٧٦م ، ٤٤٨؛ وأضاف النويري " فهدمتها الرياح فبنى في مكانها مسجدا في الدولة الظاهرية الركنية بيبرس صاحب مصر رحمه الله تعالى" ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، النويري (ت ٧٣٣هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة،١٤٢٣ هـ،٣٩٧/١؛ وفي موضع لاحق أكد نص ابن عبد الظاهر ج٢١٦/٣٠؛ وذلك ما أيده المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٧م، ٨٩/٢؛ الا أن السيوطي نقلا عن الوطواط ، قال : " قال صاحب مباهج الفكر: وكان أحمد بن طولون بنى في أعلاها قبة من خشب، فهدمتها الرياح، فبُني مكانها مسجد في أيام الملك الكامل صاحب مصر. ثم إن وجهها البحري تداعى، وكذلك الرصيف الذي بين يديها من جهة البحر، وكادا ينهدمان؛ وذلك أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس، فرمه وأصلحه. انتهى." عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) ، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه – مصر ،١٩٦٧ م ، ٩٠/١.وكذا ورد في نص دخيل على متن رحلة أبو حامد الغرناطي ، تحفة الالباب ، ٩٨.

(٨١) لقد اسهب غيره ممن زار الإسكندرية ووصف منارتها في عدد البيوت داخل المنارة وطريقة الدخول والخروج منها فضلا عن الرقي فيها وعن الزراقات التي يدخل الضوء والهواء فيها كل هذه الأمور اغفلها ابن جبير ، وعن الوصف لمن دخلها ينظر الغرناطي ، تحفة ، ٩٩–١٠٠؛ البلوي ، الف باء ،٥٦٩/٢–٥٧٠.

(٨٢) الذراع الرشاشية وتعادل ٥٤٫٠٥سم ، ينظر فالتر هنتس ، المكاييل والاوزان والمقاييس الإسلامية وما يعادلها بالنظام المتري ،ترجمة : كامل العسلي ، منشورات الجامعة الأردنية ، عمان ، ١٩٧٠م ، ٨٩.

(٨٣) صورة الأرض ، ١٥١.

(٨٤) جمع زراقة : وهي كَوَّة مدورة في الجدار يدخل منها الضوء إلى السلم ، دوزي ، تكملة المعاجم ، ٣١٢/٥.

(٨٥) منهم البكري (ت٤٧٨ه)، وأبو حامد الغرناطي (ت٥٦٥ه) ، والبلوي(ت٦٠٤ه) ،والمجهول المراكشي (ت القرن السادس الهجري) ، لكل من هؤلاء وصف لطول المنار وشكلها وقد تتشابه تلك الاوصاف مع ما ذكر عن عجائبها ، الا ان الاهتمام بها كمظهر للحراسة والمراقبة لم تخلده كتب التاريخ .

(٨٦) ظهر انبهار ابن جبير بمدينة اخميم وما رآه من آثار إذ عقب على اسهابه للوصف بقوله :" فلا يضن المتصفح لهذا المكتوب أن في الاخبار عنه بعض غلوّ فإن كان كل مخبر عنه ، لو كان قسا بياناً ، أو سحبانا يقف موقف العجز والتقصير " ، الرحلة ، ٣٣-٣٤؛ واجتاز ابن جبير مدن اخميم وقوص ومنية ابي الخصيب في خمسة أيام ، فاذا كان نصيب كل واحدة يومين فهو اقل بكثير من مدة مكوثه في الإسكندرية (تسعة أيام ) .

(٨٧) عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي البغدادي (ت٦٢٩هـ) ، الإفادة والاعتبار في أمور المشاهدة والحوادث المعاينة بارض مصر ، تحقيق : احمد غسان سبانو ، دار قتيبة ، دمشق ، ١٩٨٣م، ٥٣ .

(٨٨) مجهول ، الاستبصار ، ٩٨ .

(٨٩) أبو الحسن علي بن أبي بكر بن علي الهروي (ت٦١١هـ)، الإشارات لمعرفة الزيارات ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٤٢٣ه، ٤٨ .

(٩٠) البغدادي ، الإفادة ، ٥٣ .

(٩١) نزهة ، ١/٣٢١-٣٢٢؛ يقترب من هذا الوصف ابن حوقل ، صورة ، ١٥٠-١٥١؛البكري ، المسالك ، ٢/٦٣٨-٦٣٩، ووصفه بالغ الأهمية اذ قال عنها :" والقصر الأعظم بالإسكندرية اليوم خراب ، وهو على ربوة عظيمة بإزاء باب المدينة ، طوله ٥٠٠ ذراع وعرضه على النصف من ذلك ونحوه ، ولم يبق منه الا سواريه فانها قائمة لم يسقط منها شيء ... وعدد اساطين القصر ازيد من مئة أسطوانة غلظ كل أسطوانة نحو عشرة اشبار ، وفي الناحية الشمالية منه أسطوانة عظيمة غلظها ٣٦ شبرا وهي من الارتفاع بحيث لا يدرك اعلاها قاذف بحجر ... والاسطوانة منزلة في عمود قد خرقة به الأرض فاذا اشتدت الرياح جعلت تحت الأسطوانة الحجارة فتطحنها لشدة حركتها ".كما اسهب في وصفها مجهول ناقلا عن البكري اغلب معلوماته ينظر ، الاستبصار ، ١/٩٩.

(٩٢) الرحلة ، ١٤؛ افد احد الباحثين عند دراسته لرحلة ابن جبير في هذا الموضع عنوان :"عمود السواري" ، ولم اجد في تعبير ابن جبير ما يدل على عمود واحد ، فضلا عن انه أشار الى ان العمود الكبير والضخم "أقامه بطليموس" نقلا عن السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي حتى الفتح العثماني، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، ١٩٨١م، ٣٦-٣٧؛ وعند مراجعة ذلك الكتاب بطبعته الأولى في القاهرة ، وجدت انه وقع في الوهم لان فقد ذكر سالم إذ أن البناء (أي العمود الضخم) كان من عمل حاكم الإسكندرية بوسنيموس تكريما لزيارة الامبراطور

دقلديانوس (٢٨٤–٣٠٥م) للاسكندرية وعرف هذا العمود باسم عمود السواري ، ينظر سالم ، تاريخ الإسكندرية ، دائرة المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١م، ٢٩.

(٩٣) تحفة الالباب، ١٠٠.

(٩٤) المصدر نفسه ، ١٠٠–١٠١.

(٩٥) الإفادة والاعتبار ، ٥١–٥٢.

(٩٦) المواعظ والاعتبار ، ١/٤٤٧–٤٤٨.

(٩٧) محمد بن عبد الله بن محمد بن بطوطة (ت٧٧٩ه) ، غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، دار الفكر ، بيروت ،٢٠٠٣، ١/١٤.

(٩٨) الإشارات ، ٤٥.

- صورة متخيلة لساحل الإسكندرية الرومانية ومنارتها نقلا عن شبكة المعلومات العالمية (Internet) ؛ موقع الإسكندرية عبر العصور .